University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثلاثون – 25/ أكتوبر (2017)

أرسطفيوس وتأسيس مذهب اللذة في الفلسفة القورينائية

عبدالله جبريل آدم المبروك

(قسم العلوم السلوكية-كلية الآداب -جامعة عمر المختار/فرع درنة)

أرسطفيوس وتأسيس مذهب اللذة في الفلسفة القورينائية

الملخص:

يحاول هذا البحث دراسة جزء من الفكر الفلسفي اليوناني الذي انتقل من اليونان إلى شمال أفريقيا بفعل هجرات اليونان التي استوطنت قوريني مكونة مدرسة فلسفية عظيمة عرفت بالفلسفة القورينائية والذي أرتبط أسمها بالمذهب الهيدوني (اللذة) .

في هذا البحث سنتطرق للحياة الفكرية والعلمية والفنية في قورينا ثم التعريف بالمذهب الهيدوني أو مذهب اللذة من خلال دراسة شخصية الفيلسوف القورينائي أرسطفيوس مؤسس الفلسفة القورينائية بداية بمولده ، تعليمه ، فلسفته التأثيرات التي أحدثها هذا المذهب على الفلسفات اللاحقة .نهاية البحث سيكون بيان المأخذ التي أخذت على هذا المذهب بالإضافة الى دعوة للبحث في مثل هذه مواضيع .

Abstract

This research attempts to study part of the Greek philosophical thought which moved from Greece to North Africa by the Greek migrations that settled in Cyrene, a great philosophical school known as Cyrenaic philosophy, whose name was associated with hedonism In this research, we will discuss the intellectual, scientific and artistic life in through the study of the personality of the Cyrenaic philosopher Aristippus, the founder of the Cyrenaic philosophy, beginning with his birth, education, philosophy and influences. education, philosophy and influences. This doctrine is in addition to a call to research in such subjects.

تأصيل مفاهيم :

يسعى الإنسان بطبيعته إلى تحصيل اللذة والمتعة والسعادة وتُنفّره الطبيعة ذاتها عن الألم والأذى والمعاناة.وبين السلوك الإنساني ومبدأ اللذة والألم علاقة وثيقة هي علاقة النتيجة بالسبب. فالإنسان تقوده اللذة ويدفعه الألم.إن مبدأ اللذة والألم يلعب دورا حاسما في رسم الاتجاهات والاهتمامات وهو الذي تتكون به عواطف الحب والكره وعادات الفعل والكف .إن مبدأ اللذة والألم هو الذي يحركنا ويوجه نشاطنا ويشغل تفكيرنا. فطلب اللذة وتجنب الألم من أهم حقائق الطبيعة الإنسانية وعلينا أن نحترم هذه الطبيعة والتعامل معها ليس بإلغائها بل بضبطها وتهذيبها. هكذا تناول فلاسفة الإغريق مبدأ اللذة والألم تناولا إيجابيا على العكس من الفلسفة الهندية التي تناولت المبدأ تناولا سلبيا ورأت أن سعادة الإنسان منوطة بقدرته على تحمل الآلام بطواعية ورضى وإصرار وإماتة الرغبة في اللذة إماتةً كاملةً تتيح له أن يتحرر من لهفته على اللذة وخوفه من الألم.

عُرِفَ مصطلح اللذة في صيغة المذهب باسم الهيدونية أو المذهب الهيدوني والذي لا يختلف عن كلمة اللذة أو مذهب اللذة في المعنى المقصود،فيجدر بنا أن نلقي الضوء على مصطلح الهيدونية وذلك لاستعمالها بشكل واسع خصوصا بين دارسي فلسفة الأخلاق الهيدونية (Hedonism) " مذهب أخلاقي يدعي أن اللذة هي الخير الأعظم ، وأن السعادة في الشعور باللذة الحاضرة ويطلق هذا المصطلح على المدرسة القورينائية " (وهبه، 1979، صفحة 365)الهيدونية (Hedonism) "كلمة أصلها يوناني مُشتقة من (Hedone) أي جذل أو سرور ومعناها الأوسع (اللذة) وهي في مبادئ الآداب ، اصطلاحا يشمل كل نظريات السلوك التي تتخذ صورة من اللذة أساساً لدستورها .ولقد ظهرت النظريات الهيدونية في الأخلاق منذ أبعد الازمان ، ولو أنها لم تكن جميعاً ذات طابع واحد ،وأول من أطلق هذا الاصطلاح في الفلسفة القديمة على مذهب الحلقة القورينائية " (مظهر، 2015، صفحة 83) ويتفق أنصار المذهب الهيدوني (اللذة) على أن اللذة وحدها هي الخير الأقصى أو " المرغوب فيه لذاته دون النظر إلى نتائجه ، أي أن الفعل الانساني لا يكون خيراً إلا إذا حقق أو توقع صاحبه أن يُحقق أعظم قدر ممكن من اللذة مذهب اللذة يطلق على مجموعة من النظريات تشترك في اعتبار اللذة أسمى غاية للحياة الإنسانية " (الطويل، 1953، صفحة 212)

من خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أنه ليس هناك ثمة فرق بين المصطلحين ولا ضير من استخدامهما جنباً الى جنب .

الحياة الفكرية والعلمية والفنية في مدينة قوريني :

" تأسستْ مدينة قوريني حوالي سنة 631ق.م على يد مجموعة من المهاجرين الإغريق والقادمين من جزيرة سانتوريني حيث أطلقوا عليها أسم كيرانا ثم كيريني التي عرفت في المصادر الغربية باسم سايريني أو قوريني عند العرب وقد ازدهرت بها حضارة إغريقية عظيمة وامتزجت بالثقافة المحلية لدى سكان إقليم الجبل الأخضر خاصة قبيلة الأسبوستاي التي كانت مضاربها من كرسه حتى أسلطنه وقد صاهر الإغريق هذه القبيلة وسادت فترة من السلام بين الطرفين في أول الأمر قبل أن تتوافد على الأقليم هجرات جديدة (محمد، 2016)

أُطلق على قوريني أثينا أفريقيا باعتبارها أكبر تجمع حضاري خارج بلاد الأغريق ، أقيمت بها العديد من المعابد وأشهرها معبد زيوس كما شيدوا فيها مسارح أثرية للتمثيل والغناء والطقوس الدينية ومصارعة الحيوانات المفترسة .

" كانت قوريني عاصمة للإقليم المعروف باسم بنتابولس (المدن الخمس) وكان السلفيوم أحد الركائز الاقتصادية لازدهارها وكذلك زراعة الكروم والزيتون والقمح وتجارة الحيوانات المفترسة وغيرها .

صكت قوريني عملات مختلفة من الذهب والفضة والنحاس ودونت سجلاتها العقارية بأختام العاج والطين والفضة وشاركت في الألعاب الأولمبية بخيولها الشهيرة وحصلت على أكثر من عشرين بطولة رياضية ولازالت الكؤوس الرياضية التي تخلد هذه المباريات موجودة في متاحفها أو بمتاحف أوروبا وكانت لها أعيادها الكارنية الخاصة ومدارسها التي كانت تشبه مدارس أسبرطة في مناهجها وعلومها العسكرية حيث تشهد قوائم مدارس الشباب في متحف قوريني على اختلاط الطلبة الاغريق بالطلبة الليبيين ." (محمد، 2016)

من خلال هذا السرد البسيط لنشأة قوريني وحضارتها نستطيع أن نجزم بأن هذه المدينة (قوريني) كانت تمثل مدينة متكاملة من جميع الجوانب لاسيما الجانب الفكري سواء كان ذلك أصيل خاص بسكان أقليم برقة المحليين أو هو فكر يوناني دخيل عبر الهجرات الوافدة أو هو مزيج بين فكر يوناني دخيل في مقابل فكر ليبي أصيل نجم عن هذا التمازج و التزاوج خلق فكر وثقافة ذات خصوصية ميزت قوريني عن غيرها من المدن الاثينية الأخرى .

تُعد مدينة قوريني من المدن التاريخية القديمة ، ومن امجادها والأدوار المشرفة التي أسهمت بها في تقدم الحضارة العالمية ، بعمرانها وفنونها الجميلة وطراز أبنيتها الرائعة ، وعلمائها وفنانيها وشعرائها وفلاسفتها ، أمثال " الفيلسوف القوريني **أرسطفيوس** والتي بقت اقواله المأثورة متداولة في العالم الاغريقي ، ويكفيها فخر ان احدى المدارس الفلسفية المشهورة منسوبة اليها ، ونعني بها تلك المدرسة التي عرفت في تاريخ الفلسفة باسم الفلسفة (القورينائية). (تشايلد، 1970، صفحة 64)

فلم يقتصر إنتاج قوريني على الفلسفة فقط بل اشتمل جميع مناحي الحياة الفكرية والأدبية والفنية ويعد " كاليماخوس الذي أشتهر بإنتاجه الشعري حيث وصلنا منه الكثير كما أنّ أجزاء من شعره اكتشفت ضمن أوراق البردي المصرية ، وأيراتوسيثنس الذي أصبح رئيساً لمكتبة الإسكندرية فقد كان واسع الإطلاع وكَتَبَ في مواضيع بما في ذلك النقد الأدبي والتاريخ والرياضيات والفلك والجغرافيا ، وآخر ما أنجزه في هذا المجال الأخير كان التحديد الدقيق لمحيط الكرة الأرضي وسينسيوس الذي كَتَبَ عدداً من المقالات والأناشيد ومجموعة من الخطابات تعطي صورة واضحة عن الحياة في قورينا ، هذا الأخير هو الوحيد الذي قضى الجزء الأكبر من حياته في وطنه قورينا وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ قورينا كانتْ مسقط رأس لجيل من العباقرة " (تشايلد، 1970، صفحة 66)

ميلاد أرسطفيوس :

" في مدينة قورينا الزاهرة الوارفة الثراء هذه الحافلة بروائع الفن اليوناني في عصره الكلاسيكي .ولد أرسطفيوس ، مؤسس المدرسة القورينائية " (بدوي، 1969، صفحة 17)

على الرغم من التباين في سيرة أرسطفيوس إلا إنّ جميع المصادر التاريخية أجمعت على أنّ أرسطفيوس " فيلسوف يوناني من مواليد قورينا في ليبيا (نحو 435-335 ق.م)وكان تلميذاً لسقراط وسفسطائياً ، والمؤسس التقليدي للمدرسة القورينائية ولمذهب اللذة (طرابيشي، 1987، صفحة 46)

" فقد ذكره ديوجانس اللائرسي في كتابه حياة الفلاسفة أن أرسطفيوس كان من أصل قورينائي وقدم إلى أثينا مجذوباً بشهرة سقراط ، وفي معجم سويداس تحت أسم أرسطفيوس فيلسوف من قورينا وكان من تلاميذ سقراط " (بدوي، 1969، صفحة 17)

يقول " هوسخيوس المالطي (de viris illustribus) ان أرسطفيوس القورينائي من أتباع اللذة لكنه لم يجهد نفسه في البحث عن الاستمتاع بما ليس في متناول يده " (بدوي، 1969، صفحة 17)

"وقد ذكر أسطربون (نشرة Kramer) أشتهر بعض رجال قورينا ، مثل أرسطفيوس من أتباع سقراط وهو الذي أسس المدرسة القورينائية " (بدوي، 1969، صفحة 17)

مما سبق نستطيع أن نجزم بأن الفيلسوف أرسطفيوس من مواليد قورينا وقد عاصر السفسطائية وسقراط كما سيتضح لاحقاً وإنه مؤسس المدرسة القورينائية (مذهب اللذة) والتي أمتد تأثيرها الى فلاسفة متأخرين أمثال توماس هوبز وجيرمي بنتام .

تعليمه:

تتلمذ أرسطفيوس على يد **بروتاغوراس** فقد كان " بروتاغوراس أول من عرض أن يعلم مقابل أجر . أما قبله فلم يكن التعليم بأجر ومن هنا كان من الصعب على السفسطائية في البداية أن يجدوا طلاباً ولهذا كانوا يتجولون بين الناس وفي مختلف المدن لإقناعهم بفائدة التعليم ." (بدوي، 1969، صفحة 27)

تلقى أرسطفيوس " التعاليم السفسطائية على يد بروتاغوراس حينما زار مدينته ، ثم التقى بسقراط في أثينا ودخل معه في علاقة وثيقة دون أنْ يعلم آن ذاك أي آراء أو مبادئ حول التعاليم السقراطية وحتى بعد وفاة سقراط عُرف كمعلم سوفسطائي متخصص لقاء الأجر في أثينا ويحتمل أن يكون قد سافر الى سراقوصة ثم عاد إلى قورينا ليؤسس هناك المدرسة القورينائية أو المدرسة اللذيّة " (النشار، 2015، صفحة 39) فقد كان سعي السفسطائية إلى الناحية المادية والمتمثلة في الأجور التي يتقاضونها مقابل التعليم من جهة وإلى نشر " التعاليم السفسطائية التي ترمي إلى تقوية الشخصية وتكوين المواطن الجيد الذي يستطيع إدارة الشؤون العامة في دولته بكل حزم وكفاية " (بدوي، 1969، صفحة 28،27)من جهة أخرى ولهذا كان هدفه تعليم فن السياسة فمِنْ المؤكد أن أرسطفيوس قد تأثر بآراء معلمه وأستاذه بروتاغوراس خصوصاً فيما يتعلق بالحسية الظاهرية فقد كان بروتاغوراس " سبّاقاً إلى

القول بالظواهرية بتوكيده أن الحقيقة هي الظاهرة للوعي وإنّ كل شئ نسبي وإنّ الموجود لا وجود له إلا بالإضافة إلى الوعي " (طرابيشي، 1987، صفحة 153)

وبذلك تكون الحقيقة الظاهرة عند بروتاغوراس " أنّ الإنسان لا يستطيع أنْ يعرف إلّا ما يظهر له (أي الظواهر) لا طبيعة الأشياء في ذاتها (أي الماهيات) وهو لا يعرف على أية صورة تظهر الأشياء لغيره من الناس" (مظهر، 2015، صفحة 77)

فمن وجهة نظره أن الإنسان لا يتوصل إلى حكم عقلي تجاه الأشياء أنبيلة هي أم غير نبيلة ؟ وأن كل ما نعرف عن الخيرية لا يتعدي معرفة ما هو ملذ .

الإنسان مقياس الأشياء جميعاً هذه العبارة التي تفتح الباب أمام الانسان ، فهو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد فالأشياء بالنسبة لي على ما تبدو لي ، وهي بالنسبة إليك على ما تبدو لك وبذلك تبطل الحقيقة المطلقة لتحل محلها الحقائق النسبية المتعددة ليست بتعدد الأشخاص فحسب بل بتعدد حالات الشخص الواحد وتغيرها " على يد أمثال هؤلاء السوفسطائية درس صاحبنا أرسطفيوس ويكاد الباحثون المحدثون يجمعون على أنه سمع من السوفسطائية ، وخصوصا بروتاغوراس ، قبل أن يعرف سقراط وهم يستدلون على ذلك بما هنالك من تشابه بين آراء أرسطفيوس وبين آراء السوفسطائية ." (بدوي، 1969، صفحة 31)أمّا تتلمذه على يد **سقراط** فلا مجال للشك فيه " وإنما موضوع التنازع هو هل جاء أرسطيفوس إلى أثينا بعد أن أكتمل تكوينه ، وتحددت ميوله واتجاهاته ، أو كان يتلمس طريقه الأول في التفكير ؟." (بدوي، 1969، صفحة 34)هناك روايات تتحدث عن لقائه مع سقراط " وأسع هذه الروايات ما ذكره فلوطرخس في مقالة عن (حب الاستطلاع) (إحدى مقالات الأخلاق Moralia) فقال: في أثينا الألعاب الأولمبية ألتقى أرسطيفوس باسماخوس ، فسأله ماذا يقول سقراط حتى يثير نفوس الشباب إلى هذا الحد ؟ فأنبأه بعض آرائه وكلماته ، فتأثر أرسطيفوس منها كثيراً ، حتى هزل بدنه وصار شاحباً ناحلاً تماماً ؛ إلى أنْ أبحر– وهو متعطش متحمس – إلى أثينا ، وشرب من ذلك الينبوع أقصد (سقراط) وعرف الرجل (سقراط) وأقواله وفلسفته التي تهدف إلى أن يعرف الإنسان عيوب نفسه وأن يتحرر منها " (بدوي، 1969، صفحة 34)لكن كل ما يهمنا في هذا الموضع تأكيد ما إنْ كان قد تلقي ولو جزء يسير من تعاليم سقراط وهذا أيضا ليس مجالا للشك فيه إذا كان أرسطوطاليس قد أهمل ذكر أرسطيفوس تعييناً ، وأقتصر على أن يذكر من القورينيي (أودكس) وحده ، فإن الحكيم الأعظم (سقراط) قد عُني به .

أثناء البحث في تأصيل هذه المدرسة " القورينائية " ومذهبها صادفتنا بعض المعلومات المتضاربة حول أصول مؤسسي المدرسة القورينائية عامة ومؤسسها أرسطفيوس خاصة فالبعض يرى أن أرسطفيوس هو من سكان ليبيا الأصليين وأصوله أمازيغية والبعض الآخر يرى أنّ هذه المدرسة برمتها ثقافة يونانية المنشأ أتى بها المهاجرون اليونان إلى شمال أفريقيا أما بخصوص المؤسس أرسطفيوس فالبعض يرى " أبنة أرسطيفوس (أريتا) ترأست من بعده وخلفها أبنها أرسطفيوس الصغير (الحفيد) ويقال أنه هو من علّم مذهب اللذة فأضيف المذهب إلى جده وقد يكون هذا القول صحيحاً بدليل أنّ أرسطو لم يذكر أرسطفيوس في كلامه عن اللذة " (كرم، 2012، صفحة 238) ومهما يكن من هذا فلا تهمنا هذه المسائل الخلافية بقدر اهتمامنا وسعينا لإثبات أن هناك مدرسة نشأت

في إقليم برقة بليبيا عرفت باسم المدرسة القورينائية وهي الرائدة لمذهب اللذة في الفلسفة عموما وأن هذه البقعة من أرض برقة (قوريني) كانت تعج بالمثقفين والعلماء الذين استطاعوا ان يضعوا آراء ومذاهب فلسفية ونظريات علمية لا زالت محل اهتمام البُحّاث حتى عصرنا الراهن . فذكر الفلسفة القورينائية كفيل بتداعي كل الأفكار المتعلقة بمذهب اللذة فأقترن مذهب اللذة بقوريني إقتراناً صريحاً يثبت مما لا يدع مجالاً للشك أنّ مذهب اللذة هو مذهب قوريني محض نشأ في قوريني وأزدهر ، ومنها ذاع وأنتشر .

نظرية المعرفة في الفلسفة القورينائية :

قبل أن نبدأ بتحليل مذهب اللذة في المدرسة القورينائية يجدر بنا أن ننظر إلى نظرية المعرفة عند القورينائيين خصوصاً وإنَّ هناك جدل واسع حول هذه النقطة بالذات فالبعض يرى أن الأساس هي النظرية الأخلاقية وصِيغَتْ نظرية المعرفة على نمطها وذلك لما تتمتع به الطبيعة البشرية في كونها تولي اهتمام كبير للجانب الأخلاقي بحكم أن الإنسان كائن أخلاقي ، في حين يرى البعض الآخر العكس أن الأصل نظرية المعرفة وأن النظرية الأخلاقية أتت تحصيل حاصل لنظرية المعرفة ، أي أن القول بأن الأساس للمعرفة هي الحس هو ما ساق القورينائيون للأخذ بمذهب اللذة للارتباط الوثيق بين اللذة والحس فلا سبيل لتحصيل اللذات وتمييزها إلاّ بالحس .

فيرى القورينائيون " أننا لا ندرك إلاّ ما ينفعل به حِسّنا الباطن وليس حكماً ممكناً خارج نطاق الانفعالات الباطنة ولا يمكن ادراك شئ من الخارج بل ما يمكن ادراكه هو ما نُحِسُ به بالحس الباطن مثل الألم و اللذة" (بدوي، 1969، صفحة 93) بمعنى أننا لا نعرف الألوان والأشياء والأصوات من حيث هي ، بل من كيفية انفعالنا بها فالمعرفة إذاً هي إدراك بالحس ويترتب على هذا القول " بأنّ كل (المعرفة) إدراك بالحس (sense-perception) وأنّ كل إدراك بالحس، إنّما (ندرك) به كيف أثّر فينا ذلك الإدراك ، تَحْصُر معرفتنا في الوقوف على حالات (الوعي) (Consciousenss) أو الشعور الكائن في تضاعيفنا.وعلى هذا يكون إدراك حالات الوعي النفسي" (مظهر، 2015، صفحة 215) أي أن مذهب أرسطفيوس جملةً على علاقةٍ بالطبيعة . ويقارن شيشرون بين القورينائيين وبروتاجوراس وأبيقور في نظرية المعرفة فيقول " يختلف رأي بروتاجوراس الذي يقول إن الحق هو ما يبدو لكل منا أنه الحق –عن رأي القورينائيين ، الذين يرون أنه لا سبيل إلى الحكم خارج نطاق الانفعالات الباطنة – وعن رأي أبيقور الذي أقام الحكم على الحواس وعلى أفكارنا عن الاشياء وعلى اللذة ." (بدوي، 1969، صفحة 93) وعلى هذا النحو فإن القورينائيون كانوا يؤكدون أن لديهم انفعالات باطنة ، ولا يستطيعون أن يؤكدوا أنها لأشياء موجودة أي أنّهم كانوا " يكتفون بالإدراكات الذاتية ولا يحكمون بشئ على الموضوعات : هل هي موجودة وعلى أي نحو. " (بدوي، 1969، صفحة 95) ذلك هو القدر المؤكد لمذهب أرسطفيوس والقورينائية في نظرية المعرفة .

فلسفة اللذة عند أرسطفيوس :

كنا قد تسألنا سابقاً عن الأولوية " أكانت نظرية اللذة عن أرسطفيوس الأصل الذي جره لوضع نظرية المعرفة وقوله أن المعرفة (ادراك بالحس) أم كانت نظرية المعرفة هي الأصل الذي جره إلى نظرية اللذة ؟ " (مظهر، 2015، صفحة 216)

الارجح أنّ نظرية المعرفة هي " الأصل الذي بُنِيت عليه نظريته في اللذة والحكم بأن اللذة هي الخير الأسمى وأن لذة الحس أسمى اللذات جميعا " (مظهر، 2015، صفحة 216)

فالمدرسة القورينائية ترى إنّ " الاهتمام في المعرفة يجب أنْ يتوجه إلى ما يتصل بالسلوك الإنساني أي الأخلاق ولهذا كان النصيب الأكبر في مذهبهم هو للأخلاق والسمة الأساسية للأخلاق القورينائية هي القول بمبدأ اللذة معياراً للتقويم الأخلاقي وغاية السلوك الإنساني " (بدوي، 1969، صفحة 104) ولكن لو كان يكفي للمرء أن ينشد اللذة ويتجنب الألم لكي يكون كائناً أخلاقياً لما وجد أي فرد أية صعوبة في أنْ يكون صاحب خُلق ، ولكن الشعور الخُلقي أو الضمير هو الذي يثير الكثير من الشكوك حول براهين اللذة وحساباتها فنجد أن فلاسفة اللذة يقولون بأن معيار خيرية الأفعال هو درجة اللذة التي تحققها لأصحابها،ولدراسة مذهب اللذة عند أرسطفيوس يجب علينا بيان ماهية اللذة في فلسفته وما إذا كان هناك تفاوت بين اللذات حتى نتمكن من التمييز بين مذهبه في اللذة والمذاهب السابقة واللاحقة عليه، فماهية اللذة عند أرسطفيوس تتلخص في الآتي : أنه يصف حالتين انفعاليتين هما اللذة والألم ، فاللذة حركة خفيفة ، والألم حركة عنيفة .وليس عنده أي فارق بين لذة ولذة لا يوجد شئ أكبر لذة من شئ آخر وبيمنا اللذة يرغب فيها كل الأحياء ، فإن الألم – على العكس من ذلك –أ مر من شأنهم أن يتجنبوه وهذه هي الصورة الصريحة للذة الجسمانية وهي الغاية النهائية المنشودة عند أرسطفيوس ودليله على أن " اللذة هي الغاية أنها تصير منذ الطفولة مألوفة لنا دون أي اختيار بل بذاتها وإذا نلناها لا نبحث عن شئ آخر ، ونحن لا نَفِرُ من شئ فِرَارنا من مُضادها ، وهي الألم . والذي هو أيضا الخير حتى لو تولدت من أمور فاضحة حسبما يقول هبوبوتوس Hippobotos في كتابه عن ((الفرق)) وحتى لوكان السلوك غير لائق فإن اللذة مع ذلك تختار لذاتها وهي الخير وهم يرون أن القضاء علي الألم .

ليس لذة كذلك انتفاء اللذة ليس في نظرهم ألماً ذلك لأن كليهما يقوم في الحركة بينما انتفاء الألم أو انتفاء اللذة ليس حركة" (بدوي، 1969، صفحة 105)فالعنصر المكون للسعادة عن أرطفيوس هو الحصول على اللذة الحسية والخير عن أرسطفيوس " يقوم في الاحساسات اللذيذة والإحساس اللذيذ دائماً حاضراً وغاية الإنسان هي اللذة والسعادة هي مجموع اللذات الجزئية" (بدوي، 1969، صفحة 106)

اللذة ترتبط بصورة مباشرة باللحظة الحاضرة في الوقت الحاضر فلا قيمة في تذكر اللذات الماضية ولا رجاء في لذات آتية " فالحاضر وحده لنا ، لا اللحظة الماضية ، ولا تلك التي نرتقبها ، لأن الأولى زالت والثانية لا ندري ماذا ستكون" (بدوي، 1969، صفحة 106)وما اللذة المنشودة هي اللذة الحاضرة فلا نتأسى على لذة فائتة بتذكرها ولا ننتظر لذة مستقبلية قد يطول انتظارها أو لا تأتي بل نعيش اللذة الحاضرة وما تحمله من لذة ومتعة وبذلك تعتبر اللذة الحاضرة عن أرسطفيوس هي السبيل الوحيد الى الفضيلة .أما من ناحية مفاضلة لذة عن لذة اخرى من حيث الكم والكيف اي المقدار

والاستمرار والتي تعتبر من أهم عوامل الإقبال أو الإحجام على اللذات .فالاستمرار هي ديمومة اللذة في الزمن أي كمية اللذة أو مقدارها ومدى طهرها أي عدم تخالطها مع لذات أخرى . فيرى أرسطفيوس أن ليس ثمة معايير لترجيح لذة على أخرى بل اللذات عنده كلها سواء . مما سبق يمكن ايجاز المذهب في الآتي :

*اللذة عند أرسطفيوس هي الخير الأقصى وهي غاية الحياة الإنسانية ومعيار القيم ومعيار الأحكام الخلقية.

*قامت فلسفة اللذة عند أرسطفيوس " على وجدانات اللذة والألم فالحركة اللطيفة التي نسميها باللذة هي الخير الوحيد والحركة العنيفة التي نسميها بالألم هي الشر الوحيد ،واللذات تتفق كيفاً ولكنها تختلف درجةً وديمومةً " (الطويل، 1953، صفحة 44)

*بالرغم من اعتقاده بأن الحكمة والمعرفة هي خير ما يملك الانسان إلاّ أنه يؤكد " لاحاجة الى البحث النظري لاكتشاف الخير ومعرفة الفضيلة فالأخلاقية تقوم على وجدان اللذة والألم ، وكل ما ينطوي عليه سلوكنا من جمال مَرد الاعجاب به الى أنه (نافع) أو مُؤدٍ الى خير. ومن هنا أنتهى إلى القول بأن الخير لا يمكن إلّا أن يكون لذة تنشدها جميع الكائنات الحساسة مُساقة بدوافعها الطبيعية بينما تنفر هذه الكائنات من ضدها وهو الألم" (الطويل، 1953، صفحة 45)

* لم يُعِيرْ أرسطفيوس أهمية لأية حسابات تتعلق باللذة من حيث الشدة والإخصاب والديمومة كما عند اللاحقين من الفلاسفة النفعيين إنما كانت الغاية المنشودة عنده هي اللذة الحاضرة .

اللذة بين القورينائية والأبيقورية

نظر القورينائيون إلى اللذة أنها الغاية في ذاتها . إنها الخير الوحيد لهذا فإن الأخلاقيات هي نشاط يُدِرُ اللذة وأن الفضيلة لا قيمة لها في ذاتها بل تستمد قيمتها من اللذة التي تصاحبها ، ويعتبر هذا هو الأساس في نظرية الأخلاق في رأي أبيقور ، وما قاله بعد ذلك إنما هو شرح للذة " ولم يَعْنِ أبيقور باللذة ما عناه القورينائيون من اللذة الوقتية بل عني باللذة بأوسع معانيها فيصح أن نرفض لذة عاجلة لأنها تستتبع ألماً أكبر منها ، ويصح أن نتحمل ألماً عاجلاً لأنه يستتبع لذة أكبر منه" (أمين، 2012، صفحة 303،302)فاللذة المرجوة عند الأبيقوريين ليست تلك الوقتية الحاضرة عن القورينائيين .إنه يقصد اللذة التي تدوم حياة كاملة حياة سعيدة ومن ثم لا نسمح لانفسنا بأن نكون سجناء أية لذة أو رغبة جزئية . يجب علينا أن نسيطر على شهواتنا ، بل يجب أن نرفض اللذة إذا كانت ستفضي في النهاية إلى ألم أكبر وعلينا أن نكون على استعداد لتحمل ألماً يفضي الى لذةٍ قادمةٍ أكبر.

يُعِدُ الأبيقوريون اللذات الروحية والعقلية أكثر بكثير من لذات الجسم " لأن الجسم لا يحس إلا باللذة الحاضرة ، أما العقل فيستطيع أنْ يتلذذ بذكر لذة ماضية ويأمل في لذة مستقبلية" (أمين، 2012، صفحة 30)

فالجسم لا يشعر باللذة والألم إلّا عندما يدومان . و الجسم لا يملك في ذاته ذاكرة ولا استباقاً معرفياً . والعقل هو الذي يتذكر وينبأ وأكثر اللذات والآلام قوة هي تلك التي تتعلق بالتذكر فبدون عقل يعجز المرء في تقدير اللذة من حيث الخصائص والتي تعتبر هي ميزان المفاضلة بين اللذات فحساب اللذات عند القورينائيين غير ذي بال مقارنة عند الابيقوريين الذين يرون من الواجب التخلي عن أية لذة يتبعها ألم وتحمل الالم من أجل لذة حاضرة .

تأثير مذهب اللذة القورينائية في الفلسفات الأخلاقية اللاحقة.

أثرت المدرسة القورينائية في الفلسفات القديمة بل و تجاوزتها ، فلم يقتصر تأثيرها على الفلسفة الأبيقورية وحسب – باعتبارها الفلسفة الأخلاقية التالية للقورينائية – بل أمتد الى أبعد من ذلك حتى وصلت إلى العصور الحديثة عند هوبز وبنتام و مل ومن تلاهم حتى وأن اختلف المسمى فكلها تتمحور حول اللذة وتحصيلها والألم و تفاديه، فعند تأمل المذاهب الأخلاقية في المنفعة العامة ما هي إلا صورة منقحة عن فلسفة اللذة القورينائية التي وضع لبنتها الأولى أرسطفيوس في القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً .

جميع أنصار المذاهب اللذيّة " متفقون على أن اللذة وحدها هي الخير الأقصى أو المرغوب فيه لِذَاتِهِ دون النظر إلى نتائجه أي أن الفعل الإنساني لا يكون خيراً إلا متى حقق أو توقع صاحبه أن يحقق أعظم قدر من اللذة " (الطويل، 1953، صفحة 21) فمذهب اللذة يطلق على مجموعة من النظريات تشترك في اعتبار اللذة أسمى غاية للحياة الإنسانية ويبدو في عدة صور يمكن بيانها في التالي :

*مذهب اللذة السيكولوجي Psychological Hedonism ويرى أصحابه أن الناس ينشدون بالفعل كل ما يحقق لذاتهم فاللذة هي الغرض الأقصى لرغبة الإنسان والدوافع السيكولوجية لكل تصرفاتنا لا يمكن تفسيرها إلا بالرغبة في اللذة والنفور من الالم .

*مذهب اللذة الأخلاقي Ethical Hedonism ويرى أصحابه أنّ الناس " ينبغي أن ينشدوا على الدوام لذاتهم فاللذة وحدها هي الخير في ذاته ولا شئ سواها يحمل قيمة في ذاته وعلى عكسها يحمل الألم أو الشعور الأليم قيمة سلبية قصوى فهو الشر في ذاته " (الطويل، 1953، صفحة 22،21)

ومذهب اللذة الاخلاقي ينقسم إلى عدة اتجاهات أهمها :

*مذهب اللذة الأناني وأشهر دعاته توماس هوبز (مذهب المنفعة الخاصة).

*مذهب اللذة العامة وأشتهر هذا المذهب بمذهب المنفعة العامة والذي تمثل عند عند جيرمي بنتام وجون ستوارت مل.مذهب الذة الأناني عند هوبز لم يفرق فيه هوبز بين الروح والجسد من حيث الاستقلالية " إحساسات الإنسان ما هي إلا مظاهر لحركات من أجزاء جسمه الداخلية ومَرَدْ العواطف و الوجدانات إلى اللذة و الألم ومرجع هذين إلى الدورة الدموية فكل احساس يحرك الدم يثير في الإنسان لذة فإنْ عاق دورة الدم أثار ألماً ومرجع تصرفات الإنسان إلى حب البقاء" (الطويل، 1953، صفحة 60) فغاية الإنسان تصب كلها في حفظ حياته و هوبز لا يميز بين طلب اللذة الغريزي وبين طلب اللذة المقصود

والذي يقصده الإنسان واعياً " باعتباره تعبيرا عما ينبغي أن يكون ويرد الانفعالات التي تبو وأنها لا تصدر عن حب الذات الى حالات من حب الذات " (الطويل، 1953، صفحة 61)فيرى هوبز ان من الضروري لكي يعيش الانسان في سلام عليه أن لا يخضع الى طاعة القواعد الأخلاقية لذاتها بل لما يترتب على طاعتها من منافع ذاتية " من هذا نرى أن مذهب هوبز يقوم نظرياً على مبدأ الآثِرة وخلاصته أن من الطبيعي ومن ثم يكون من المعقول ألا يقصد سلوك الإنسان إلا لحفظ حياته وتحقيق لذاته" (الطويل، 1953، صفحة 65)

يمكن تلخيص فلسفة هوبز في الآتي: " إنّ الإنسان أناني بفطرته نافر من الناس بطبعه ولكنه يعيش معهم جنباً الى جنب ، الأفعال اللا إرادية عند الناس تهدف إلى حفظ حياتهم وتحقيق لذاتهم فليكن هذا هو غاية الأفعال الإنسانية التي ينبغي أن يحققها سلوكه ، وإن غاية الأفعال الإنسانية تحددها طبيعة الإنسان ولا يمليها عقله حسب العقل أنْ يرشده إلى الأساليب التي تمهد لتحقيق غايته في حفظ بقائه وتحقيق لذاته وإلى هذا ذهب القورينائية والأبيقورية من قبل" (الطويل، 1953، صفحة 62)أما اللذة عند جيرمي بنتام فقامت على أساس مذهب اللذة السيكولوجي والذي يقول إنّ الكائن البشري يبحث بطبعه عن تحصيل اللذة وتجنب الألم وهذا ليس جديداً فقد سبقه إلى ذلك أبيقور ومن قبله أرسطفيوس . ومعنى اللذة عند جيرمي بنتام تقوم على أساس أنّ " الطبيعة وضعت الإنسان تحت سيطرت سيدين شديدين هما اللذة والألم إليهما وحدهما مرجع ما ينبغي ان يأتيه من أفعال ، وبهما يتحدد ما سيقدم عليه من تصرفات فهما مستوى الصواب والخطأ وبعرشهما ترتبط سلسلة العلة والمعلول ، يتحكمان في كل ما نقوم به من أفعال وما يطوف بخواطرنا من أفكار" (الطويل، 1953، صفحة 99)ولكن هل يستطيع الإنسان التخلص من هذه السيطرة وبذلك تتغير النظرة بصفة عامة إلى اللذة والألم .فيقول جيرمي بنتام " وكل جهد نبذله للتحرر من سيادتهما لا ينتهي بغير إثبات هذه السيادة وتوكيدها . وصفوة القول أن الانسان قد يدعي القدرة على رفض سيادتهما ، ولكنه يبقى في الواقع عبداً لهما في كل حال ؛ إنّ مبدأ المنفعة يعترف بهذه السيادة ويفترضها أساساً لهذا المذهب الذي يهدف إلى تحقيق السعادة عن طريق العقل والقانون " (الطويل، 1953، صفحة 33،34)لعل الجانب المهم في فلسفة جيرمي بنتام الأخلاقية هو المنحى التجريبي أو بالأحرى إضفاء التجريبية على مذهبه من خلال اخضاع اللذة و الألم إلي حسابات يتم من خلالها تقدير الفعل وما يصاحبه من كمية اللذة والألم التي من المحتمل أن يؤدي اليها الفعل ومن ثم يختار وفقا لذلك أما الاقدام على الفعل تحقيقاً للذة مصاحبة أو احجاماً عنه درءاً لألم متوقع ولذلك " وضع مقياس للذة والألم من حيث الشدة والديمومة واليقين والخصوبة والصفاء والدرجة بهذا الحساب فان جيرمي بنتام ينتهج النهج الأبيقوري في تصنيف اللذات وقياسها لمحاولة ايجاد طريقة يتم من خلالها تفضيل لذة على أُخرى أو اختيار ألم يكون أقل وطأة من ألم آخر ، غير أنّ بنتام يهتم أساساً من خلال تقديره للذة ربط نظريته الأخلاقية بالصالح العام من خلال مدى شمول اللذة أي عدد الأفراد الذين يتأثرون باللذة أو الألم بمعنى تحقيق أكبر قدر من اللذة لأكبر عدد من الناس لصبغ مذهبه بالعمومية فعرف بمذهب المنفعة العامة .

علاقة اللذة بالسعادة.

بما أنّ الإنسان يسعى وينشد اللذة وينبذ ويمقت الألم وهو من خلال ذلك يتطلع لبلوغ السعادة والتي في نظره أسمى الغايات . فهل الحصول على اللذة والابتعاد عن الألم قد يكون مصدراً للسعادة ؟

" أيسر تعريف للذة pleasure أنها وجدان يصاحب إشباع الرغبات الشخصية ، أما السعادة Happiness فإنها وجدان يصاحب تحقيق اللذات ككل ، بصرف النظر عن اشباع الرغبات المؤقتة ، بل برغم الالم الذي ينشأ عن رفض اشباعها أو الفشل في ارضائها ، من هنا تميز مذهب السعاة من مذهب اللذة برفض اعتبار الخير الأقصى مجرد مجموع لذات معينة فالسعادة ليست لذة الساعة الحاضرة ولا مجموع لذات تحققها اشباع رغبات متتالية ، ولا هي خلق التوازن بين اللذة والألم وإنما هي وحدة من لذات تتم بإخضاع لذات أُخرى أو استبعادها عنه بالضرورة" (الطويل، 1953، صفحة 33،34)

إذاً فالفرق بين اللذة والسعاة أنّ اللذة تبقى ما بقي الفعل ولا يشعر بها إلا المنتفع بها أما السعادة فسيمتها الثبات و الدوام وهي شعور عام بين الفاعلين الاجتماعيين .السعادة عامة مطلقة وليست نسبية كاللذة التي قد تكون منشودة عن البعض منبوذة عند البعض الآخر. من هذا المنطلق لا يمكن أنْ يكون تحقيق اللذة وتجنب الألم مصدراً للسعادة وهذا ما دفع المهتمين بالشأن الأخلاقي لتوجيه انتقادات لمذهب اللذة نذكر منها .

*علاقة اللذة بالسعادة تختلف من شخص لآخر فالبعض يرى أنّ السبيل إلى السعاة لا يتأتى إلا بالحصول على اللذات في حين يستبعد البعض الآخر اللذات من طريق السعادة .

*اللذة ليست خيراً دائماً والألم ليس شراً دائماً وإلا كيف يمكن تفسير الألم الذي يسبق الشفاء مثلاً .

*اللذة لا تصلح أنْ تكون غاية السلوك الأخلاقي للإنسان ولا يمكن أن تكون أساسا لعلاقات الأفراد في المجتمع.

*اللذة لا تؤدي الى التوازن النفسي للإنسان.

*ليست كل اللذات تنسجم مع الضمير.

*اللذة ترتبط بالآثرة الإنسانية (الأنانية) ارتباطاً مباشراً وهذا لا يستقيم مع عمل الجماعة في المجتمع.

*اعتماد اللذة كفلسفة أخلاقية لا يترك مجالاً للقيم الأخلاقية العليا بسبب تفضيل بعض اللذات الدنيا على المثل العليا.

*قبول اللذات كفلسفة لحياة الفرد تجعل الجانب الحسي للجسد يسود على الجانب الروحي للنفس والجانب العقلي للفرد .

الخاتمة :

قبل أن أسدل الستار على هذا البحث لابد من وضع خاتمة تلخص أهم ما توصلت إليه من نتائج فقد كان الهدف الذي يسعى إليه البحث هو تأكيد ما إذا كانت هناك فلسفة قورينائية أصيلة في أقليم برقة بمدينة قوريني عُرِفَتْ بمذهب اللذة من عدمها ؟.

اعتمدت في هذا الدراسة على عدة مراجع تناولت الفلسفة القورينائية بالرغم من ندرتها فهذه المدرسة لم تأخذ حقها من البحث والدراسة لعدة أسباب من بينها عدم الاهتمام بالبحث في المجال الفلسفي عموماً وفي قوريني خصوصاً ولكن حاولت أن أؤكد المعلومات والتي ثبتت صحتها وتطابقها في أكثر من مرجع ألا وهي :

*أن قوريني كانت مدينة تعج بالحركة الثقافية وكانت قبلة الكثير من الطلبة والمعلمين للفكر اليوناني القديم وأرطفيوس أبن قوريني جرى عليه التأثير كغيره من الشباب بالحركة الفكرية في زخم تلك الحضارة والتي شملت جميع مناحي الحياة العلمية والفكرية والتجارية والعمرانية ....ألخ

*أن مذهب اللذة قوريني المنشأ فما تكاد تذكر مدينة قوريني حتى يتبادر الى ذهنك مذهب اللذة و أرسطفيوس والعكس فالبرغم من التضارب حول مؤسس نظرية اللذة أرسطفيوس الجد أو الحفيد إلا أن المؤكد وجود إنتاج فكري عُرِفَ بمذهب اللذة القورينائية في مدينة قوريني وأن أرسطفيوس هوأول من وضع اللبِّنة الأولى لهذا المذهب والذي لم يقتصر على حقبة معينة بل أمتد تأثيره إلى وقتنا الراهن.

*مذهب اللذة باختصار شديد يقوم على اعتبار اللذة الحسية هي الغاية التي يسعى اليها البشر فكل افعال البشر طبقاً لمذهب اللذة مدفوعة بدوافع إما طمعاً في لذةٍ أو تجنباً لألمٍ .

*لم يتوانَ القورينائيون في التأكيد على أن اللذات المقصودة هي اللذات الحسية أو الجسمية واقتناصها والتمتع بها في اللحظة الحاضرة وعلى ذلك جاز أن نسميه بمذهب اللذة الخالصة،واللذة المقصودة هنا السعادة الوقتية أو لذة الساعة وعل الأخص ناحية اللذة البدنية و أن الرجل العاقل لا يختار الألم إذا خُيِّر و يشتري اللذة بألم يعقبها،وهذه القاعدة تدعو إلى انتهاز أي لذةٍ سريعةٍ راهنةٍ بشرط ألاّ تستقوي اللذات وتسيطر بل يجب كبح جماح النفس تجاه اللذات إجمالاً وإلّا أصبح طيشاً.

*اللذة لا يمكن أن تكون سبيلاً إلى السعادة فالاستمتاع باللذات وتجنب الألام لا يمكن أن تحقق السعادة فالسعادة مطلقة ينشدها جميع البشر دون استثناء ولا خلاف حولها بينما اللذة نسبية ، فاللذة عند البعض قد تكون آلاماً عن البعض الآخر والعكس جائز.

*نهاية البحث كان لبعض الانتقادات التي وُجِهَتْ إلى مذهب اللذة إجمالاً لا اقتصاراً على المدرسة القورينائية.

قائمة المراجع

- أحمد أمين. (2012). قصة الفلسفة اليونانية . القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- اسماعيل مظهر. (2015). فلسفة اللذة و الألم. بيروت : منشورات الجمل.
- توفيق الطويل. (1953). مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.
- جود تشايلد. (1970). قورينا و أبولونيا . ليبيا: إدارة البحوث الأثرية.
- جورج طرابيشي. (1987). معجم الفلاسفة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- عبدالرحمن بدوي. (1969). الفلسفة القورينائية أو مذهب اللذة . بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع.
- فضل علي محمد. (2016). عملات قوريني في العصر الإغريقي. البيضاء: غير منشورة.
- مراد وهبه. (1979). المعجم الفلسفي. القاهرة : دار مأمون للطباعة.
- مصطفى النشار. (2015). تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي. القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .
- يوسف كرم. (2012). تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .